

تفسير البحر المحيط

@ 309 @ غيرهم مؤمنون بها . ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء انتهى . وليست عندنا هم تدل على الخصوص ، وباقي ألفاظه ألفاظ المعتزلة . ولما ذكر أنه رفض ملة أولئك ذكر اتباعه ملة آبائه ليريهما أنه من بيت النبوة ، بعد أن عرفهما أنه نبي ، بما ذكر من أخباره بالغيوب لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله . وقرأ الأشهب العقيلي والكوفيون : آبائي بإسكان الياء ، وهي مروية عن أبي عمرو . ما كان لنا ما صح ولا استقام لنا معشر الأنبياء أن نشرك بأٍ من شيء عموم في الملك والجني والإنسي ، فكيف بالصنم الذي لا يسمع ولا يبصر ؟ فشيء يراد به المشرك . ويجوز أن يراد به المصدر أي : من شيء من الإشراك ، فيعم الإشراك ، ويلزم عموم متعلقاته . ومن زائدة لأنها في حيز النفي ، إذ المعنى : ما نشرك بأٍ شيئاً ، والإشارة بذلك إلى شركهم وملتهم أي : ذلك الدين والشرع الحنيفي الذي انتفى فيه الإشراك بأٍ ، ومن فضل الأٍ علينا أي : على الرسل ، إذ خصوا بأن كانوا وسائط بين الأٍ وعباده . وعلى الناس أي : على المرسل إليهم ، إذ يساقون به إلى النجاة حيث أرشدوهم إليه . وقوله : لا يشكرون أي : لا يشكرون فضل الأٍ فيشركون ولا ينتبهون . وقيل : ذلك من فضل الأٍ علينا ، لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها ، وقد نصب مثل ذلك لسائر الناس من غير تفاوت ، ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يشكرون اتباعاً لأهوائهم ، فيبقون كافرين غير شاكرين .

{ يَشْكُرُونَ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَّابُ مُمْتَفِرِّ قُؤُونٍ خَيْرُ أَمِّ اللّٰه }
الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أُنْزِلَ اللّٰهُ بِهَِا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ أَلْحُكُمُ إِلَّا لِلّٰهِ } : لما ذكر ما هو عليه من الدين الحنيفي تطف في حسن الاستدلال على فساد ما عليه قوم الفتيين من عبادة الأصنام ، فناداهما باسم الصحبة في المكان الشاق الذي تخلص فيه المودة وتتمخض فيه النصيحة . واحتمل قوله : يا صاحبي السجن ، أن يكون من باب الإضافة إلى الطرف ، والمعنى : يا صاحبي في السجن ، واحتمل أن يكون من إضافته إلى شبه المفعول كأنه قيل : يا ساكني السجن ، كقوله { أَمْ حَبَابِ الذَّارِ } { وَأَمْ حَبَابِ الْجَنَّةِ } ثم أورد الدليل على بطلان ملة قومهما بقوله : أأرباب ، فأبرز ذلك في صورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بالدليل من غير استفهام . وهكذا الوجه في محاجة الجاهل أن يؤخذ بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلها ، فإذا قبلها لزمته عنها درجة أخرى فوقها ، ثم

كذلك إلى أن يصل إلى الإذعان بالحق . وقابل تفرق أربابهم بالواحد ، وجاء بصفة القهار تنبيهاً على أنه تعالى له هذا الوصف الذي معناه الغلبة والقدرة التامة ، وإعلاماً بعروص أصنامهم عن هذا الوصف الذي لا ينبغي أن يعبد إلا المتصف به ، وهم عالمون بأن تلك الأصنام جماد . والمعنى : أعبادة أرباب متكاثرة في العدد خير أم عبادة واحد قهار وهو ؟ فمن ضرورة العاقل يرى خيرية عبادته ، ثم استطرد بعد الاستفهام إلى إخبار عن حقيقة ما يعبدون . والخطاب بقوله : ما تعبدون ، لهما ولقومهما من أهل . ومعنى إلا أسماء : أي ألفاظاً أحدثتموها أنتم وآباؤكم فهي فارغة لا مسميات تحتها ، وتقدم تفسير مثل هذه الجملة في الأعراف . إن الحكم إلا : أي : ليس لكم ولا لأصنامكم حكم ما الحكم في العبادة والدين إلا ؟ ثم بين ما حكم به فقال أمر أن لا تعبدوا إلا إياه . ومعنى القيم : الثابت الذي دلت عليه البراهين . لا يعلمون بجهالاتهم وغلبة الكفر عليهم . .

{ يَعْزَمُونَ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا
وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلِبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رِيسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا
إِذْ كُرِيَ عِنْدَ رَبِّكَ فَآزَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَا يَدْرِي
السَّجْنِ بِرَضَعِ سِنِينَ } : لما ألقى إليهما ما كان أهم وهو أمر الدين رجاء في إيمانهما ، ناداهما ثانياً لتجتمع أنفسهما لسماع الجواب ، فروي أنه قال : لبنو : أما أنت فتعود إلى مرتبتك وسقاية ربك ، وما رأيت من الكرامة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده ، وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه . وقال لمحب : أما أنت فما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب ، فروي أنهما قالا : ما رأينا شيئاً ، وإنما تحالمننا لنجر بك . وروي أنه لم يقل ذلك إلا الذي حدثه بالصلب . وروي أنهما رأيا ثم أنكرا . وقرأ الجمهور : فيسقي ربه من سقى ، وفرقة : فيسقي من أسقى ، وهما